Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences Volume (8), Issue (6) December (2025)

ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/95
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها جامعة الفارابي

حجاجية الخطاب القرآني في سورة ص

م.د. آلاء محمد كاطع
قسم علوم القرآن والحديث /كلية الامام الكاظم (ع)
lecdhi24@alkadhum-col.edu.iq

الملخص:

تناول هذا البحث الذي عنوانه (حجاجية الخطاب القرآني في سورة ص) آليات ومظاهر حجاج الخطاب القرآني في سورة ص ، سواء أ كان الحجاج صادر من الباري (عز وجل)للكافرين أم لإبليس أومن الأنبياء للكافرين أو الكافرين فيما بينهم.وقد تنوعت أساليب وآليات الحجاج بين امراً واستفهاماً ونفياً وبين الاستعارة والكناية والمقابلة كذلك الاستدلال بالقصص القرآني والرابط الحجاجي بل ، وكان من أهم أهداف البحث هو إظهار كيف وظف الخطاب القرآني مختلف الأساليب الحجاجية في السورة ، وذلك بغية التأثير والإقناع بالمتلقي بالأطروحة التي يريدها المتكلم ، ولاسيما أنّ سورة ص سورة مكية وقد ناقشت موضوعات متعددة وعلى رأسها توحيد الباري (تبارك وتعالى) وإفحام الكافرين.

Abstract

This research, entitled (The Argumentativeness of the Qur'anic Discourse in Surat Sad), deals with the mechanisms and manifestations of the argumentativeness of the Qur'anic discourse in Surat Sad, whether the argumentation is from God Almighty to the disbelievers, or to Satan, or the prophets to the disbelievers, or the disbelievers among themselves. The methods and mechanisms of argumentation varied between command, question, and negation, and between rhetorical mechhanisms such as metaphor and metonymy, as well as evidence from Qur'anic stories and the argumentative link. Indeed, one of the most important objectives of the research was to show how the Qur'anic discourse employed various argumentative methods in the surah, with the aim of influencing and convincing the recipient of the thesis that the speaker wants, especially since Surat Sad is an air-conditioned surah and discussed multiple topics, most notably the monotheism of God Almighty and the silencing of the disbelievers.

المقدمة:

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الإسلام ، وقوم ألسنتنا بلغة القرآن وصلى الله على من خصّ بالفصاحة والبيان سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.القرآن الكريم هو خطاب موجه إلى الناس جميعاً منذ البعثة إلى قيام الساعة ، لذلك فهو غير مقيد بمكان أو زمان معين ، قال تعالى : <قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً>[الأعراف : ١٥٨]أي أنّ القرآن الكريم موجه إلى متلقٍ كوني ، وكونية القرآن جعلته يتوسد مختلف أساليب التبليغ التي ليس الهدف منها فقط الفهم والإفهام وإنّما الأساس هو التأثير على آراء المخاطب، وسلوكياته واستمالة العقول ،وتوجيه النفوس ولذلك وظف الكثير من الأساليب الحجاجية التي تؤمن هذه الغايات.وسورة ص من السور المكية التي عنيت بتوحيد الباري (عز وجل) وذكر الأنبياء عليهم السلام وصبرهم وما ابتلوا به ، والحوار الذي دار بين المولى (تبارك وتعالى)والملائكة وإبليس، وبين المولى والكافرين ،وبين الكافرين والمؤمنين ، لذلك وقع الاختيار على دراسة الآليات الحجاجية فيها ، وقد تنوعت هذه الآليات لذلك قُسم البحث على تمهيد وثمانية مطالب وخاتمة ,أما التمهيد فبحثت فيه مفهوم الحجاج في اللغة والاصطلاح ,والمطالب كانت كالآتي : الأمر ، الاستفهام ،النفي ، الاستعارة، الكناية ، المقابلة ،الاستدلال بالقصص القرآني ، وبل الحجاجية ، كل هذه الوسائل كان لها دور في التأثير والإقناع بالمتلقي بغية الوصول إلى النتيجة التي يريد المتكلم إثباتها.

التمهيد : مفهوم الحجاج في اللغة والاصطلاح

الحجاج لغةً:تكاد تجمع المعجمات العربية في تعريفها للحجاج بأنّه : الجدل والتنازع والتخاصم ومحاولة الغلبة والظفر على الخصم إذ جاء في مقاييس اللغة أنّ ((الحاء والجيم أصول أربعة فالأول القصد ، وكل قصد حج ... يقال حاججت فلاناً ، فحججته أي غلبته بالحجة، وذلك الظفر

يكون عند الخصومة والجمع حجج والمصدر الحجاج)) (ابن فارس ،٢/٢٩-٣٠).وأيضاً جاء في لسان العرب : ((حاججته ، أُحاجُّه ، حجاجاً ، ومُحاجّة حتى حججتهُ ، أي : غلبته بالحجج التي أدليت بها ... والحُجّة البرهان ، وقيل : الحُجُّة ما دفع به الخصم)) (ابن منظور ،٤/٣٨).

الحجاج اصطلاحاً:لا تكاد تخلو كتب التراث الإسلامي من تداول مصطلح الحجاج أو الاحتجاج أو المحاجة في العديد من مجالات الحياة وخصوصاً في المسائل ذات الطابع الفكري والفلسفي ، والعقدي التي كثيراً ما يعتريها الخلاف في وجهات النظر ، فالحجاج مستعمل في علوم اللغة والنحو والحديث والفقه والأصول وعلوم الكلام وله تعريفات متعددة منها قولهم : ((الحجة : ما دل به على صحة الدعوى ، وقيل الحجة والدليل واحد)) (الجرجاني،٢٠٠٣ ،الصفحة١/٨٢)ولم يختلف المعنى عند المعاصرين فقد عرفوا الحجاج بأنه : ((طائفة من تقنيات الخطاب التي تقصد إلى استمالة المتلقين إلى القضايا التي تعرض عليهم أو إلى زيادة درجة تلك الاستمالة)) (اسماعيلي،٢٠١٠ ،الصفحة١/٤).وقد قسم طه عبد الرحمن الحجاج انطلاقاً من بعده التحاوري إلى ثلاثة أقسام وهي : الوصلي والإيصالي والاتّصالي ,فأمّا النموذج الأول وهو الوصلي فقد جعله يعتمد على الحجاج ذاته بغض النظر عن المقام ، بمعنى أنه يغفل عنصري المتكلم والسامع ,وأمّا القسم الثاني فيعتمد على المتكلم ووظيفته في العملية الخطابية ، وأمّا النموذج الثالث وهو الاتّصالي الذي يستحضر المتكلم والمتلقي في جو من التفاعل والممارسة الخطابية في مقام حي وهذا النموذج هو الذي يصلح لدراسة الحجاج في القرآن الكريم (عبد الرحمن،١٩٩٨ ،الصفحة٢٧١).

المطلب الأول :اسلوب الأمر

يُضفي الأمر بعداً حجاجياً بوصفه قاعدة للإنجاز ، وإنّ شيوع فعل الأمر في الخطاب القرآني ، ولاسيما في سورة ص يدل على استمرارية الزمن والحدث ، وربما مدد ذلك إلى التعليم والاعتبار وبالتالي يؤدي الى التأثير والإقناع (كاظم صادق،٢٠١٥ ،الصفحة ١٤٤).والأمر هو ((هو طلب حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء ، ويكون ممن هو أعلى إلى من هو أقل منه)) (**احمد والديب ،٢٠٠٣،الصفحة٢٨٣**).وقد جاء الأمر في سورة (ص) في مواضع متعددة وبصيغة (أفعل) لأنها من أقوى الصيغ الحجاجية ، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى : <قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ> [ص : ٦٥].فقد جاء الأمر عن طريق فعل الأمر (قُل) الذي يحمل طافة حجاجية عالية ، لأنه أمر من الباري (عزوجل) إلى رسوله الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد أمره أن يحتج ويرد على الكافرين الذين اتهموا الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)بأنّه ساحر وكذاب فأمره أن يقول لهم : (إنما أنا منذر) وكذلك أن يثبت صفة الوحدانية لله (عزوجل) بقوله : (ما من إله إلا الله) مقابل إنكارهم ذلك ، وذكر صفة القهار تعريضاً بتهديد المشركين بأن الله قادر على قهرهم أي غلبهم (ابن عاشور،١٩٨٤،الصفحات٢٣/٢٩٤-٢٩٥).

وتكرر فعل الأمر (قل) أيضاً في سورة ص وذلك في قوله تعالى : <قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ۞ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۞ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ> [ص: ٦٩]فالله سبحانه وتعالى يُلقي الحجة على الكافرين ، وذلك عن طريق أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بقوله (قل) ، أي : قل لهم يا محمد إنّ ما انبأتكم به من كوني رسولاً منذراً ، ومن أنّ الله واحد أحد لا شريك له ، خبر عظيم الفائدة لكم فهو يُنقذكم مما أنتم فيه من الضلالة ، لكنكم معرضون عنه لا تفكرون فيه ، لتماديكم في الغفلة ، ثم بعد ذلك يذكر الحجج التي تُعضد كلامه بقوله : <مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ> [ص: ٦٩] إلى نهاية القصة ، أي ما كان لي فيما سبق من علم بحال الملأ الأعلى ، وهم الملائكة وآدم عليهم السلام ، وإبليس عليه اللعنة ، وهذا الكلام حجة ورد على الكافرين الذين اتهموا الرسول بأن له علم مسبق بذلك (المراغي،الصفحة ٢٣/١٣٦).

المطلب الثاني :اسلوب الاستفهام

من الاساليب التي تبعد النص عن الرتابة هو الاستفهام ، والاستفهام كما هو معروف هو سؤال يُراد به جواب , هذا الاستفهام الحقيقي لكن أحياناً السائل يسأل ولا يريد جواب من المقابل فهو يعرف الاجابة ، وهذا ما يطلق عليه بالاستفهام البلاغي او المجازي وهنا يكمن الجمال ، فالسائل حينما يسأل المتلقي وهو يعرف الجواب هذا يُثير المتلقي ويدعوه الى التفكر والتأمل وكذلك رسوخ الكلام في الاذهان.لذلك حظي الاستفهام ، اي السؤال مذ الفلسفة اليونانية باهتمام كبير ، فقد اكد سقراط أنّ عملية التفلسف لا تعدو أن تكون طرحاً لأسئلة لا تبحث عن اجوبة بل تحاول الكشف عن الجواب المتوهم لدى المخاطب (الدريدي،٢٠٠٨،الصفحة١٤٠). وهذا هو الغاية من الاستفهام الحجاجي الذي لا يبحث عن اجابات وانّما يحاول التأثير والاقناع بالمتلقي بتغيير معتقداته الخاطئة.وقد وظف الاستفهام في سورة ص في مواضع متعدة منها قوله تعالى : < يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ> [ص : ٧٥].فاستفهام الباري (عزوجل) لإبليس عن المانع من السجود وهو استفهام توبيخ وإنكار فقوله : (ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي) أي : خلقته بالذات من غير توسط أب وأم والتثنية بقوله (يديّ) جاءت لإبراز كمال الاعتناء بخلقه عليه الصلاة والسلام المستدعي لإجلاله واعظامه قصداً الى تأكيد الانكار وتشديد التوبيخ ، وتكرر استفهام المولى (عز وجل) لابليس بقوله : (استكبرت أم كنت من العالين) بهمزة الإنكار ، أي : أتكبرت من غير استحقاق ان كنت من العالين المستحقين للتفوق ،

وقول ابليس (انا خير منه) ادعاء منه لشيء مستلزم لمنعه من السجود على زعمه واشعار بانه لا يليق به ان يسجد لادم لأنّه خلق من نار وادم من تراب (ابو السعود،الصفحات٢٣٦/٧-٢٣٧).ومن جمالية الاستفهام في سورة ص ما جاء في قوله تعالى : <وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ۞ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاء الصِّرَاطِ> [ص : ٢١ - ٢٢].جاءت الاستفهام في الآية الكريمة عن طريق الأداة (هل) وهذا الاستفهام يحمل على محمل التشويق ، أي تشويق المخاطب الى استماع ما يرد بعده ، كما تقول لمن تُخاطبه : هل علمت ما وقع بالأمس ثم تذكر له ما وقع ، وذلك للإيذان بأنّ هذا النبأ ، اي الخبر العظيم الشأن من الاخبار البديعة التي حقها ان لا يخفى على احد ، ثم بعد ذلك ذكر قصة النبي داود (ع) مع الخصمين الذين دخلا عليه ، فالاستفهام هنا حقق غايات جمالية حجاجية فذكره في البداية اثار التعجب والتشويق الى ذكر المؤخر من الكلام ، وهذا النوع من الاستفهام يثير عند المتلقي الدهشة والفضول الى ذكر ما بعده(ابن عاشور،١٩٨٤،الصفحة٣٤٢/٢٣).ومن روعة الاستفهام ايضًا ما جاء في خطاب الكافرين فيما بينهم في نار جهنم ، اذ قالوا : <وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ۞ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيّاً أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ> [ص : ٦٢ - ٦٣].فاستفهام الكافرين بعضهم لبعض جاء على سبيل التعجب والتحسر وهم ملقون في نار جهنم فكيف لا يرون المؤمنين الذين كانوا يستهزؤون بهم في الدنيا ((فليس الاستفهام عن عدم رؤيتهم المسلمين في جهنم استفهاماً حقيقياً ناشئاً عن ظن أنّهم يجدون رجال المسلمين معهم اذ لا يخطر ببال الطاغين أن يكون رجال المسلمين معهم ، كيف وهم يعلمون أنهم بضد حالهم فلا يتوهمونهم معهم في العذاب)) (ابن عاشور،١٩٨٤،الصفحة٣٩٢/٢٣) ومن استفهام الكافرين ايضاً في سورة ص قولهم : <جَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ> [ص : ٥]فالاستفهام هنا افاد الانكار والتعجب وذلك باستخدام اداة الاستفهام (الهمزة) ، فقد ابتدأوا الانكار بأول اصل من اصول كفرهم وهو الاشراك بالله سبحانه وتعالى ، اي كيف جعل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)المعبود اله واحد لا اله الا هو ، فإن هذا الشيء عجاب ، أي : لأمرٍ بليغ في العجب ، لأنه خلاف ما كانوا عليهم هم وآباؤهم.ثم تكرر استفهام الكافرين بعد ذلك بقولهم : <أُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا> [ص : ٨] والاستفهام أيضاً هنا افاد الانكار والاستبعاد ومناط الانكار هو الظرف ((من بيننا)) أي كيف يكون ذلك ونحن رؤساء الناس واشراف قريش واكثرهم مالا واعواناً . (ابن عاشور،١٩٨٤،الصفحة٢١٠/٢٣).

المطلب الثالث :اسلوب النفي

يُعد النفي من الأساليب اللغوية التي لعبت دوراً هاماً في بناء الحجاج في الخطاب القرآني ؛ لأنّه اسلوب يعبر عن تأثر النفس بوضع ما وانفعاله لحدث ما ، به يحسم المتكلم إنكاره لموقف الخصم ودعوته الى تغيير موقفه وقبول اطروحة المخاطب وذلك عن طريق عرض الحجج التي تخدم قضيته.وقد جاء اسلوب النفي كاسلوب حجاجي واضحاً في سورة ص وذلك في قوله تعالى : <وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ> [ص : ٢٧]فقد احتج الباري (عز وجل) على كفار مكة الذين ظنوا أنّهم خلقوا لغير شيء وانه لا يوجد بعث ولا حساب ، فقد جاء الخطاب القرآني منكراً ذلك بقوله تعالى : (وما خلقنا السماء والارض ...) اي لم يخلقهما باطلاً ، أي : عبثاً ولعباً من غير فائدة ولا مصلحة ، وانما خلق هذا الكون مشتملاً على الحكم الباهرة ، وعلى المصالح الجمة والاسرار البليغة والمنافع التي لا يحصيها العد ، والهيئات والكيفيات التي تهدي من يتفكر فيها الى اتباع الحق ، وقوله تبارك وتعالى (فويل للذين كفروا من النار) جاءت بيان للعاقبة السيئة التي حلت بهم بسبب هذا الظن الفاسد ، ومما عزز الحجاج مجيء اللقاء كرابط حجاجي للتفريع على ظنهم الباطل ، وكذلك مجيء من للتعليل ، وأيضاً من المظاهر الحجاجية في هذه الاية هو الاظهار غي مقام الاضمار في قوله تعالى : (فويل للذين كفروا من النار) إذ وضع الموصول (الذين) موضع ضميرهم ، للأشعار بعلية صلة الموصول للحكم ، اي ان هذا الويل والهلاك كائن لهم بسبب كفرهم (طنطاوي ،١٩٩٧،الصفحة١٨٤/١٢).ومن الحجاج بالنفي ايضاً ما جاء في قوله تعالى : <كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوْا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ> [ص : ٣].اذ جاء النفي بـ (لات) في قوله (ولات حين مناص) اي ليس هناك قرار من عذاب الله بالتوبة ، فالآيات الكريمات احتج بهم الباري (تبارك وتعالى)على كفار مكة الذين كذبوا بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم فذكرهم بالأمم الذين كانوا قبلهم ، فسلكوا سبيلهم في تكذيب رسلهم فيما آتوهم به من عند الله ، فكانت النتيجة هي حلول العذاب بهم فنادوا وعجوا الى ربهم واستغاثوا بالتوبة حين نزول البلاء بهم ، فكانت النتيجة ان الله سبحانه وتعالى لم يقبل استغاثتهم ولم يجب لهم (الطبري،٢٠٠١،الصفحة ١٩٠/٢١).

المطلب الرابع : الاستعارة

تعد الاستعارة من اهم اليات الحجاج البلاغية وذلك نظراً لما لها من طاقة حجاجية ناتجة عن ((التناسب مع ما يقتضيه السياق اذ تمثل الاستعارة ابلغ واقوى الاليات اللغوية رغم اكتناف السياق لكثير من العناصر ويظهر التوجه العملي للاستعارة في ارتكازها على المستعار منه ، اذ تكون

الاستعارة بذلك ادعى من الحقيقة لتحريك همة المخاطب الى الإقناع اذ يهدف استعمالها ال تغيير المقاييس التي يعتمدها المخاطب في تقويم الواقع والسلوك وان يتعرف عل ذلك من المخاطب ليكون سبب القبول والتسليم)) (الشهري،٢٠٠٤،الصفحة٤٩٦).ومن مصاديق الاستعارة في سورة ص قوله تعالى : <كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ> [ص : ١٢].جاءت الاستعارة في الآية القرآني في قوله (ذو الاوتاد) وهي استعارة تصريحية ، فقد ذكر المشبه به وحذف المشبه ، فقد استعار لفظ (الاوتاد) لثبات الملك ، والاوتاد جمع وتد، وهو الحبل العظيم الذي تشد به الخيمة ، والغرض الحجاجي من هذه الاستعارة لكي يؤكد الباري (عزوجل) أنّ مع عظمة ملك فرعون وقوته فلم يكن ذلك ليحول بينه وبين عذاب الله سبحانه وتعالى (ابن عاشور،١٩٨٤،الصفحة٢٣/٢٢٠).وورد التعبير بالاستعارة أيضاً في قوله تعالى : <وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ> [ص : ٤٥] فقد استعار الايدي للقوة في العبادة وطاعة الله ، وكذلك استعار الابصار للبصيرة في الدين ، والاستعارة هنا هي استعارة تصريحية.وإذا أمعنا النظر في هذه الاية الكريمة نجد روعة التعبير القرآني بوصفهم اصحاب الايدي والابصار. فالايدي جمع يد و(ابصار) جمع بصر ، والانسان يحتاج الى قوتين لتحقيق اهدافه ، الاولى هي قوة الادراك والتشخيص ، والقوة الثابتة : حُسن الاداء ، وبعبارة اخرى يجب عليه الاستفادة من العلم والقدرة لكي يصل الى اهدافه ، والباري عزوجل وصف انبياءه بانهم ذوو ادراك وتشخيص وبصيرة قوية ، وذوو قوة وقدرة كافية لإنجاز اعمالهم (الشيرازي،٢٠١٣،الصفحة١٤/٥٢٨).

المطلب الخامس : الكناية

الكناية كما عرفها الجرجاني ببقوله : ((إن يريد المتكلم اثبات معنى من المعاني ، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يجيء الى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به اليه ويجعله دليلاً عليه)) (الجرجاني،١٩٩٢ ،الصفحة٦٦).والمتأمل في كتاب الباري (عزوجل) يجد كثيراً ما يأثر الخطاب القرآني القول الكنائي الحجاجي على القول الحقيقي ، لكي يكون الاحساس بالحجة وبالنتيجة المراد اثباتها مؤثراً ومقنعاً اكثر .وتأسيساً على ذلك جاءت الكناية في قوله تعالى : أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ> [ص : ١٠].كناية عن عجزهم وعدم استطاعتهم الصعود الى السماء وذلك في قوله (فليرتقوا في الاسباب).فالاية الكريمة جاءت حجة على المشركين الذين اتهموا الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم بانه كاذب وساحر فتحداهم الباري عزوجل بالصعود الى السماء. وذلك في قوله (وليرتقوا في الاسباب) والامر في قوله (فليرتقوا) جاء للتعجيز والارتقاء بالصعود ، والاسباب : هي المعارج والمناهل التي يتوسل بها الانسان للصعود الى السماوات ، اي ان ادعوا شيئاً من ذلك فليصعدوا في الاسباب التي توصلهم الى السماء او فليتسببوا الاسباب وليمنعوا من نزول الوحي عليهم (الطباطبائي،١٩٩٧،الصفحات١٧/١٨٤-١٨٥).وجاءت الكناية في سورة ص أيضاً في قوله تعالى : <أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ> [ص: ٦٣].زاغت ، أي : كلت وضعفت ، وهو كناية عن شدة الخوف في جهنم ، لان الخائف لا يستقر بصره.وهذه الكناية الجميلة تصور لنا شدة الموقف الذي يمر به المشركين يوم القيامة (ابن عاشور،١٩٨٤،الصفحة٢٣/٣٠٤) .

المطلب السادس :المقابلة

إنّ من اساليب الحجاج في القرآن الكريم ما يعرف بالمقابلة ، والمقابلة كما عرفها البلاغيون هي : ((أن يؤتي بمعنيين متوافقين او معان متوافقة ، ثم بما يقابلهما او يقابلها على الترتيب ، والمراد بالتوافق خلاف التقابل)) (القزويني،٢٠٠٣،الصفحة٢٨٩).ومن روعة المقابلة التي جاءت في السورة قوله تعالى : <أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ> [ص : ٢٨].هذه الآية الكريمة جاءت حجة ورد على مزاعم كفار قريش الذي قالوا للمؤمنين : انا نُعطى في الاخر من الخير ما يعطون ، اي يعطون كما يعطى المؤمنون ، فجاءت هذه الآية تبين استحالة المساواة بين المؤمنين والكافرين(طنطاوي ،١٩٩٧،الصفحة١٢/١٥٦)وذلك من خلال المقابلة بين المؤمنين الذين آمنوا بالله وصدقوا رسله وعملوا بفرائضه وبين الكافرين المفسدين في الارض بالمعاصي.ومما عزز الحجاج هنا مجيء الرابط الحجاجي (أم) التي للأخوات أي نفي الحجة التي قبلها ، ثم اضرب الله سبحانه وتعالى اضرابا اخر وانتقل عن الاول الى ما هو اظهر استحالة منه فقال (ام نجعل المتقين كالفجار) فقابل بين المتقين والفجار اي بين اتقياء المؤمنين وبين اشقياء الكافرين المنهمكين في المعاصي (الشوكاني،١٤١٤ ،الصفحة٤/٤٩٣).

المطلب السابع :الاستدلال بالقصص القرآني

إنّ الذي يتدبر القرآن الكريم ، يرى جانباً كبير من آياته وسوره قد اشتمل على قصص الانبياء - عليهم السلام - وعلى قصص غيرهم من الاخيار أو الاشرار ، ويُرى ذلك بصورة اكثر تفصيلاً في السور المكية ؛ لأنها في الاعم الاغلب اهتمت باقامة الأدلة على وحدانية الباري (عزوجل) وعلى صدق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيما يبلغ عن ربه ، ولذلك كان الاستدلال بالقصص القرآني من اهم وسائل الحجاج ، لما لها من اثر

عميق في النفوس وكذلك عنصر التشويق وجوانب الاعتبار والاتعاظ ، ولاتزال على راس الوسائل التي دخل منها الهداة والمصلحون والقادة الى قلوب الناس وعقولهم ، لكي يسلكوا الطريق القويم ، ويجتنبوا الرذائل ، ويسلموا وجوههم لله الواحد القهار (طنطاوي،١٩٦٩،الصفحة٣/١)ومن امثلة القصص القرآني في سورة ص التي اتخذها الخطاب القرآني وسيلة للإقناع قصة سيدنا داود عليه السلام ، اذ قال الحق تشارك وتعالى : <وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ۞ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاء الصِّرَاطِ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ> [ص : ٢١ - ٢٣].في بداية الآيات الله سبحانه وتعالى يطلب من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الصبر على ما يقوله المكذبون من كفار مكة ، ثم ذكر له قصة داود عليه السلام صاحب القوة على مقارعة اعدائه والصابر على طاعة الله وانه كثيرا الرجوع الى الله بالتوبة (مركز تفسير الدراسات القرآنية،٢٠٢٠ ،الصفحة٤٥٤).فالغاية من الاستدلال بقصة داود عليه السلام مع الخصمين اللذين ارادا الاحتكام الى داود عليه السلام وكيف انه حكم دون الاستماع الى الطرفين وانما استمع الى طرف واحد واعتقد انه المظلوم فتعجل بالحكم دون الاستماع الى حجة الاخر.ومن الاستدلال بالقصص القرآني أيضا في سورة ص قصة خلف ادم عليه السلام والحوار الذي جرى بين المولى عزوجل والملائكة وابليس (عليه اللعنة) ، اذ قال تعالى : <قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ۞ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۞ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ> [ص : ٦٧ - ٦٩] الى قوله تعالى : <لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ> [ص : ٨٥].فالمقصود من الاستدلال بهذه القصة هو المنع من الحسد والكبر ، وذلك لان ابليس انما وقع فيما وقع بسبب حسده وتكبره ، فهذه القصة حجة على المشركين من قريش الذين نازعوا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بسبب الحسد والكبر ، كيف ان الله سبحان وتعالى اختار محمد رسول من بينهم ، فالله تعالى ذكر هذه القصة ههنا ليصير سماعها زاجراً لهم عن هاتين الخصلتين المذمومتين (الحسد والكبر) ، والحاصل انه سبحانه وتعالى رغب المكلفين في النظر والاستدلال ومنعهم عن الاصرار والتقليد (الرازي،الصفحة٢٨٩/٢٦).

المطلب الثامن : بل الحجاجية

ذهب اغلب النحاة الى أنّ (بل) للإضراب ، إما للإضراب الإبطالي أو للإضراب الانتقالي ، وفي كلتا الحالتين تكون (بل) رابطة بين حجتين مختلفتين ، الحجة الثانية تُبطل الحاجة الاولى وتلغيها ، وهنا تكمن حجاجيتها في أنّها توجه القول بمجمله نحو الدعوى التي يريد المتكلم اثباتها (الناجح،٢٠١١،الصفحة ١٤٠)ومن ذلك ما جاء في سورة ص قوله تعالى : <ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ۞ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ> [ص : ١ - ٢]جاءت (بل) في الآية الكريمة المتقدمة للإضراب الإبطالي ، اي ابطال وإزالة توهم من يتوهم أنّ عدم تذكر الكفار ليس لضعف في تذكير القرآن ولكن لانهم متعززون مُشاقون ، ومثله قوله تعالى : <ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۞ بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ>[ق: ١ - ٢] ، اي ليس امتناعهم من الايمان بالقرآن لنقص في القرآن ، ولكن لانهم عجبوا ان جاءهم به رجل منهم ، ويمكن ان تكون (بل) للاضراب الانتقالي ، اي لانتقال من قضية الى اخرى ، بين به سبب قولهم بتعدد الالهة ، اي ليس عدم قبول المشركين للقرآن لريب فيه ، فالقرآن لا ريب فيه ، وانما المانع هو العزة والشقاق الذي هم فيه(ابن عاشور،١٩٨٤،الصفحة٢٠٤/٢٣)وجاءت بل أيضاً في السورة للإضراب الإبطالي وذلك في قوله تعالى : <قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَباً بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ> [ص : ٦٠]جاءت بل لتبطل قول الكافرين الذين قالوا لا مرحبا بكم انتم قدمتموه لنا فرد عليهم الاتباع بقولهم : انتم لا مرحبا بكم ، لانكم الذين تسببتم لأنفسكم ولنا في هذا العذاب بإغرائكم ايانا على التكذيب والكفر ، و(بل) للإضراب الإبطالي لرد الشتم عليهم وانهم اولى به منهم ، وجملة (انتم قدمتموه لنا) حجة وعلة لقلب سبب الشتم اليهم ، اي لانكم قدتم العذاب لنا (ابن عاشور،١٩٨٤،الصفحة٢٨٩/٢٣) .

الخاتمة:

وبعد فإني أحمد الله الذي يسر لي اتمام هذا البحث المتواضع والجهد اليسير الذي درس حجاجية الخطاب القرآني في سورة (ص) ، وفيما يلي عرض موجز لأهم النتائج التي توصل اليها البحث:

١. الجوهر والاساس من الحجاج في الخطاب القرني في سورة ص هو توحيد الباري (عزوجل) ونبذ عبادة الاصنام.

٢. تضافرت آليات الحجاج اللغوية والبلاغية والمنطقية في سورة ص من اجل تحقيق الغايات والاغراض المطلوبة التي تؤثر على المخاطب وتوجه بالوجهة التي يريدها المحاجج.

٣. جاء الامر في سورة ص كي يُضفي بُعداً حجاجياً بوصفه قاعدة للإنجاز ، وخرج اغلبه ال معنى التهديد والتعريض بالكافرين.

٤. لاحظت الدراسة ان اسلوب الاستفهام من اكثر الاساليب الحجاجية وروداً في سورة ص ، ربما لأنّه الاكثر اثراً ومرد ذلك ان المتكلم حينما يسأل فانه يفرض على المخاطب الاطروحة التي يريد اثباتها في ذهن المتلقي.

٥. جاءت (بل) في سورة ص تحمل غايات حجاجية عالية اذ جاءت للإضراب الإبطالي ، اي ابطال حجة الكافرين واثبات حجة المولى عزوجل والانبياء (عليهم السلام).

٦. لقد افضى هذا البحث الى انّ الاستدلال بالقصص القرآني في السورة له اثره الفعَّال في زيادة الطاقة الحجاجية للخطاب واخذ العبرة والاعتبار من مصير الاقوام السالفة.

٧. اشتملت سورة ص على وسائل عدة من صور التاثير والاقناع كالاستعارة والكناية، والتي كان له دور كبير في العملية الحجاجية.

٨. تنوع الخطاب القرني في سورة (ص) بين خطاب الباري (عزوجل) للكافرين والملائكة وابليس وبين خطاب الانبياء لأقوامهم الكافرين والكافرين فيما بينهم.

المصادر

القرآن الكريم

•ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبي السعود) ، للقاضي أبي السعود (٩٥١هـ) ، دار احياء التراث ، بيروت ، (د.ط) ، (د.ت).

- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، عبد الهادي بن ظافر الشهري ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، ليبيا ، ط١ ، ٢٠٠٤م.
- اسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي (تنظير وتطبيق على السور المكية) ، د. مثنى كاظم صادق، دار الامان ، ، ط١ ، ٢٠١٥م.
- الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ، الشيخ مكارم ناصر الشيرازي ، مدرسة الامام علي بن ابي طالب (ع) ، قم ، ايران ، ط١ ، ٢٠١٣م.
- الايضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع) ، الخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ) ، تحقيق : ابراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- التعريفات , السيد الشريف أبو الحسن علي بن محمد الحسيني الجرجاني (٨١٦هـ) , وضع حواشيه :, ط٢ , ١٤٢٤هـ _ ٢٠٠٣م .
- تفسير التحرير والتنوير ، محمد طاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، تونس، (د.ط) ، ١٩٨٤م.
- تفسير الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ابو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) ، تحقيق : عبدالله تركي ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان ، القاهرة، ط١ ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- التفسير الكبير او مفاتيح الغيب ، فخر الدين الرازي (٦٠٤هـ) ، تحقيق : سيد عمران ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، (د.ط) ، (د.ت).
- تفسير المراغي ، أحمد مصطفى المراغي ، مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، (د.ط) ، (د.ت).
- تفسير الوسيط ، محمد سيد طنطاوي ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٧م.
- الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية الى القرن الثاني للهجرة بنيته واساليبه ، د. سامية الدريدي ، عالم الكتب الحديث ، ط١ ، ٢٠٠٨م.
- الحجاج مفهومه ومجالاته ، دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة ، حافظ اسماعيلي علوي ، عالم الكتب الحديثة ، عمان ، ط١ ، ٢٠١٠م.
- دلائل الاعجاز ، الشيخ ابو بكر عبد القاهر بن هبد الرحمن الجرجاني (ت٤٧٤هـ)، تحقيق : محمود محمد شاكر ، ط٣ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- العوامل الحجاجية في اللغة العربية ، د. عز الدين الناجح ، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع ، تونس ، ط١ ، ٢٠١١م.
- علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني) ، د. محمد احمد قاسم ود. محي الدين ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب ، ، ط١ ، ٢٠٠٣م.
- فتح القدير ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت١٢٥٠هـ) ، دار ابن كثير ، دار الكلم الطيب ، دمشق ، سوريا ، ١ ، ١٤١٤هـ.
- القصة في القرآن الكريم ، د. محمد سيد طنطاوي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٩٦٩م.
- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الانصاري (ت٧١١هـ
-) ، دار صادر ، بيروت ، (د.ط) ، (د.ت).
- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي , د. طه عبد الرحمن , المركز الثقافي العربي , الدار البيضاء , ط١ , ١٩٩٨م .
- المختصر في تفسير القرآن الكريم ، مركز نفسير للدراسات القرآنية ، دار المختصر للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٤٤٢هـ - ٢٠٢٠م.
- مقاييس اللغة ، بي الحسين احمد بن فارس (ت٣٩٥هـ) ، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، (د.ط) ، (د.ت).

الميزان في تفسير القرآن , للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي , مؤسسة الأعلى للمطبوعات , بيروت , ط١ , ١٤١٧هـ _ ١٩٩٧م